

حق الفلاح على الشباب

بقلم الأنسة ابنة الشاطئ

ليس الشباب في حاجة إلى أن أحدثهم عن شقاء الفلاح وأعلن مأساته إليهم ، فالفلاحون يعلنون عن مأساتهم بأنفسهم ، ويعرضونها صارخة سافرة في وجوههم الذليلة وعيونهم الباهتة وأجسامهم الشاحبة المكدودة التي تنثر على صنحة الوادي الأمين وتعمل في مزرعة الذهب في كلال وإعياء .

لست إذن أكتب اليوم عن شقاء الفلاح ، وإنما أكتب لأذكر الشباب بحق الفلاح عليهم وحق الإنسان الشقي ، والمواطن العامل والأخ المتعب المريض .

لقد أنشئت وزارة الشؤون الاجتماعية لتصحيح أخطاء الماضي ... تلك الأخطاء التي انحدرت إلينا من أجدادنا الأواين ، ثم ما زالت تسافر متنقلة في القرون حتى انتهت إلينا ثقيلة مرهقة ، تؤذي كرامتنا الإنسانية ، وتتفل خطانا في العهد الجديد .

أنشئت وزارة الشعب ، ومن حق الفلاح عليها أن تهني له البيئة الصالحة لمعيشته كإنسان ومن حقه عليها أن تجاهد في إصلاح قبور الأحياء وتصحيح أخطاء القرية لكي تصبح أهلاً لمعيشة المنج الأول . ولكن هناك شيئاً آخر لا تستطيع الوزارة أن تعمله ولا يجوز لنا أن نطالبها به ، لأنه من عمل الشباب . فمن حق الفلاح على مواطنيه أن يجاربوا ذله وشقاءه ، وأن يحجوا الظلام الذي ران على نفسه وعقله وقلبه ، لكي يعدوه للاندماج في تلك الحياة الطيبة التي نطالبها له ، والتي سنطالب على المطالبة بها في عزم وإلحاح .

إن أكثر الشبان قد انحدروا من أصلاب الفلاح ، ولم جميعاً صلة بالريف ، ولم بين أهله أهل وأصدقاء وأقارب وأصهار . وإذا كانت الحكومات المصرية مشغولة عن الشقاء الريفي فالشبان أيضاً عن ذلك مشغولون ، بل إن نصيبها من المسؤولية أخف من نصيبهم فقد رضوا أن يعيش بينهم ملايين من مواطنهم عيشة ذليلة تأبأها الإنسانية وسمحت لهم

نفوسهم أن يغفلوا عن شقاء هؤلاء المواطنين ، وإن أحدهم لينجح الحيوان من عطفه ما لا يمنحه أخاه الانسان ، وإن أحدهم ليثور لكلب جائع أو دابة مرهقة ، ثم لا يميزه شقاء هؤلاء المواطنين التمساء !

والآن ما ذا يملك الشباب للفلاح ؟

لهم ، يكون له خيرا كبيرا ، ولكنهم لن يفعلوا له شيئا إذا لم يفهموا واجبهم نحو الفلاح وتمتلى نفوسهم بالرغبة في القيام به .

وهذا الواجب ذو ناحيتين : الأولى تعاونية تتجه الى تنظيم جهود الشباب وتوجيهها توجيها صالحا نحو خدمة الوطن . والناحية الثانية فردية بحته ، تتجه الى البذل الشخصى والاتصال المباشر والجهد الفردي لمحاربة الشقاء والذلة والمرض في الريف .

أما الناحية التعاونية ، فلا بد من قيام هيئة عليا من شباب الجامعة ، تنظم جهودهم وتجمع ما تفرق من شملهم ، وتستغل نشاطهم لإنهاض الفلاح . وهي تبدأ من نادى الجامعة وتتجه الى تكوين فرق للخدمة الاجتماعية من أبناء كل مديرية ، وتوجههم نحو الدراسة الإقليمية للناطق ، ثم تستعمل نفوذها وقوتها المعنوية لإذاعة تقاريرهم ومقترحاتهم ، وإبلاغها الى رأى العام .

هذا هو الواجب التعاونى للشباب ، وهو قائم على الاتحاد والتعاون والتنظيم ، أما الواجب الفردي فيكون بجهود كل فرد في قريته خاصة ، وهو قائم على البذل الشخصى والاتصال المباشر . والشباب الذى يغزو القرية لبحث فيها النور والحياة لا يعتمد على دروس معدة أو كتب مؤلفة ولا يلتن الريفيين دروسا نظرية في النظافة والإيمان ، وإنما هو صديق ناصح ، يرى الشقاء فيثوره ، ويبصر الجهل فيجأربه ، ويلمح الانحطاط فيصلحه : هو يختلط بالفلاحين ويبحث فيهم مبادئ الحياة الصالحة دون أن يفجعهم في معتقداتهم ، بل يأخذهم بالرفق واللين ويصطنع لذلك أسلوبا هو مزيج من الرفق والحزم والحنان .

إننا نشكر على الفلاح خشونته وذلته وقذارته ، وننسى أن الانسان لا يهتم بالكرامة إذا هان أمره عند نفسه وسلب الشعور بإنسانيته .

يجب أن تقوم الصلة بيننا وبين الفلاح على الحب والصدقة والمطف فلا نتعنف عن مصاحبة الفلاحين والانحدار الى عالمهم الساذج لكي نبحث فيهم الشعور بإنسانيتهم .

إن في القرى كثيرا من الموظفين ، كان المنتظر أن يكونوا عنصرًا يهذب الحياة الريفية
ويسعد الفلاح ، ولكن حال بينهم وبين ذلك احتفاظهم لأنفسهم بوقار كاذب متكلف
وهيبة حكومية مصطنعة .

وأكثر الشباب يخرجون من القرية ليتعلموا فيصبحوا غرباء عنها وعن أهلها ، وتنقطع
صلتهم بالأرض الطيبة التي أنشأتهم ، والفلاح الكريم الذي انحدروا من أصلابه .

لأننا اليوم نفتتح عهدا جديدا ونزقب الغد في ثقة وتفاؤل كبير ، فلعلنا لا نخدع أنفسنا
فندومها أن في استطاعتنا تحقيق آمالنا الطوال العراض ، وبين مواطنينا هذه الملايين المريضة
النعسة

ألا فلتجبه جميعا إلى محاربة الذلة التي فرضت على الفلاح وأفقده الثقة في نفسه وسلبته
الشعور بكرامته ، وبعدئذ يجوز لنا أن نهجس بالأمل في النهضة المرجوة ، وندير في أذهاننا
تلك الحياة الجديدة التي نطمح إلى تحقيقها فنصل بين مجد ماضينا وعظمة مستقبلنا المرجو

ألا فلنحترم الشقاء في إخواننا المواطنين ، وانرد إليهم شعورهم بإنسانيتهم حتى تبرأ مصر
من هذه الأخطاء التي تنقل خطاها في العهد الجديد ما

ابنة الشاطئ